فَـيَـا ابْـنَ كَـرَوَّسٍ يَـا نِـصْـفَ أَعْـمَـى
وَإِنْ تَـفْـخَـرْ فَـيَـا نِـصْـفَ الْـبَـصِـيـرِ (١)
تُـعَـادِيـنَـا لِأَنَّـا غَـيْـرُ لُـكْـنٍ
وَتُـبْـغِـضُـنَـا لِأَنَّـا غَـيْـرُ عُـورِ (٢)
فَـلَـوْ كُـنْـتَ امْـرأً يُـهْـجَـى هَـجَـوْنَـا
وَلَـكِـنْ ضَـاقَ فِـتْـرٌ عَـنْ مَـسِـيـرِ (٣)

ما المجد إلا السيف والفتكة البكر

يمدح علي بن أحمد بن عامر الأنطاكي:

[الطويل]

أُطَـاعِـنُ خَـيْـلاً مِـنْ فَـوَارِسِـهَـا الـدَّهْـرُ
وَحِـيـداً وَمَـا قَـوْلِـي كَـذَا وَمَـعِـي الـصَّـبْـرُ (٤)

= ما هو ذو قيمة ونفاسة لجاد به طواعية دون أدنى تردّد لمن كان ذا حظ عاثر؛ هذا في حال وجوده مقارنة بحالته، ولقد اكتشف الشاعر أنه حُسِد على حياته الخالية من أسباب التوفيق والنجاح، إنها حياة اختفت فيها معالم الفرح والسرور، فبدت محزنة خاوية من حسن التوفيق.

(١) و (٢) يصبّ الشاعر غضبه على ابن كروّس الذي فقد إحدى عينيه، وكان أعور، لذا فهو يُعيّره بأنه نصف أعمى احتقاراً ينمّ عن حقد دفين، والعور ليس بيد الإنسان، فيسأله بماذا تفتخر وأنت ما أنت عليه؟ ولقد تبادل العداء مع ابن كروّس لأنهما على طرفي نقيض، فالعدوّ ألكن لا يُحسن نطقاً فضلاً عن أنه نصف أعمى، بينما يتمتّع الشاعر بالفصاحة والبلاغة وسلامة النظر.

(٣) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٦. يُخاطب الشاعر مهجوّه أنه لا يستحقّ الهجاء لخساسته، ففي هجائه علو شأنه، وهذا ما يرفع من قدره، والشاعر لا يرغب في الانحطاط إلى مستواه ترفعاً وأنفة.

(٤) إنه صراع بين قوّتين لا تتكافآن، الإنسان في وحدته وضعفه والدهر بخيله وجبروته وفرسانه، أما سلاح الشاعر فهو الصبر، والصبر عتاد سلاحه الاستمرار والمداومة بجدّ ليتمّ للمرء النصر في آخر الأمر إن أراد ذلك.

وَأَشْجَعُ مِنِّي كُلَّ يَوْمٍ سَلَامَتِي
وَمَا ثَبَتَتْ إِلَّا وَفِي نَفْسِهَا أَمْرُ[١]
تَمَرَّسْتُ بِالآفَاتِ حَتَّى تَرَكْتُهَا
تَقُولُ أَمَاتَ الْمَوْتُ أَمْ ذُعِرَ الذُّعْرُ[٢]
وَأَقْدَمْتُ إِقْدَامَ الْأَتِيِّ كَأَنَّ لِي
سِوَى مُهْجَتِي أَوْ كَانَ لِي عِنْدَهَا وِتْرُ[٣]
ذَرِ النَّفْسَ تَأْخُذْ وُسْعَهَا قَبْلَ بَيْنِهَا
فَمُفْتَرِقٌ جَارَانِ دَارُهُمَا الْعُمْرُ[٤]
وَلَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ زِقًّا وَقَيْنَةً
فَمَا الْمَجْدُ إِلَّا السَّيْفُ وَالْفَتْكَةُ الْبِكْرُ[٥]

---

(١) الشاعر شجاع وما يساعد على ذلك سلامته من الضعف والتخاذل، فقد أمدته الحياة بزعم مؤدّاه أنها أشجع منه، وما ثباتها في ذاتها إلّا لأمر جلل تودّ تحقيقه على يدي الشاعر.

(٢) تمرّست: احتككت. الآفات، الواحدة آفة: الأمراض والعاهات. ذعر: خاف. يفخر الشاعر بأنه عانى الأحداث الجسام في الأسفار البعيدة وقطع المفازات وشارك في الحروب، ممَّا جعل الآفات تنطق بلسان الحدثان مندهشة من أنه لا يزال يُناضل على قيد الحياة لم يُصب بأذى، فهل مات الموت أم ارتعب الخوف، فاجتنبا منازلة الشاعر؟

(٣) الأتيّ: السيل الجارف. الوتر: الثأر. إنها شجاعة المغامر من لا يهاب الموت، فإقدامه عاصف جارف لا يحول دونه شيء، وفي زحمة هذا النضال نسي روحه التي بها يحيا حتى كأنه يثأر منها أو كأن له روحاً أخرى يُحارب بها ومن أجلها.

(٤) ذر: دع، اترك. وتروى «دع» بدلاً من «ذر». الوسع: القدرة. يطلب الشاعر من البشر أن يُبيحوا لأنفسهم التمتّع بلذائذ الحياة، كالحبّ، والمال والسلطة، والمجد قدر استطاعتهم وبلا خوف، فالعمر واحد على هذه الأرض، فحين ينتهي بالإنسان العمر فيكون الجسد خامداً وقد فارقته الحياة، ولكن بلا شكّ يكون وفّى الحياة حقها منه وبه.

(٥) الزقّ: وعاء الخمرة. القينة: الجارية المغنّية. الفتكة: البطشة. البكر: ما لم يُسبق نظير له. يحدّد الشاعر معنى المجد بمفهومه الخاص؛ إنه لا يمتّ إلى تعاطي كؤوس الخمرة والاستماع إلى الغناء المطرب بصوت عذب ساحر يحرّك المشاعر ويُثير الأحاسيس بل إنه يتعلّق بالشجاعة والبطولة حيث الفتك بالأعداء وتحطيم سدود الصغار في النفوس.

وَتَـضْـرِيـبُ أَعْـنَـاقِ الـمُـلُـوكِ وَأَنْ تُـرَى
لَـكَ الْـهَـبَـوَاتُ السُّودُ وَالْـعَسْكَرُ الْـمَجْرُ[١]
وَتَـرْكُـكَ فِـي الـدُّنْـيَـا دَوِيًّـا كـأَنَّـمـا
تَـدَاوَلُ سَـمْـعَ الـمَـرْءِ أَنْـمُـلُـهُ الْـعَـشْـرُ[٢]
إِذَا الْـفَـضْـلُ لَـمْ يَـرْفَـعْـكَ عَـنْ شُـكْـرِ نَـاقِـصٍ
عَـلَـى هِـبَـةٍ فَـالْـفَـضْـلُ فِـي مَـنْ لَـهُ الـشُّـكْـرُ[٣]
وَمَـنْ يُـنْـفِـقِ الـسَّـاعَـاتِ فـي جَـمْـعِ مَـالِـهِ
مَـخَـافَـةَ فَـقْـرٍ فَـالَّـذِي فَـعَـلَ الْـفَـقْـرُ[٤]
عَـلَـيَّ لأَهْـلِ الْـجَـوْرِ كُـلُّ طِـمِـرَّةٍ
عَـلَـيْـهَـا غُـلَامٌ مِـلءُ حَـيْـزُومِـهِ غِـمْـرُ[٥]
يُـدِيـرُ بـأَطْـرَافِ الـرِّمَـاحِ عَـلَـيْـهِـم
كُـؤُوسَ الـمَـنَـايَـا حَـيْـثُ لا تُـشْـتَـهَـى الـخَـمْـرُ[٦]

---

(١) و (٢) الهبوات، الواحدة، هبوة: الغبار المتصاعد العظيم. المجر: الجيش العظيم العرمرم. ومن مستلزمات المجد ضرب أعناق الملوك، وموقف الشاعر من الملوك متناقض؛ فهو تارة يرغب بأحوالهم فيمدحهم وطوراً يودّ القضاء عليهم، وهذا مردّه إلى كره دفين وحسد يختزنهما الشاعر في داخله، فضلاً عن قرمطيّته المعمّدة بالدم. ومن متممات المجد الجيوش الجرّارة تأتمر بأمره ويدفع بها لتكيد أعداءه، وهذا ما يُثير ضجيجاً مدوّياً في أرجاء الكون وطوال الزمن حتى يصل ذلك إلى كلّ الآذان ممَّا يصمّ الآذان، فيجعل المرء أصابعه في آذانه لشدّة ما يسمع منه.

(٣) المال من الفضائل التي تحول بين المرء والاستجداء، فمن كان عزيز النفس فقد وفّر عنها الشكر لمن لا يستحقّ الشكر؛ لذا فعلى المرء أن يربأ بنفسه وأدبه أن يسف بهما في مجتمع تسود فيه الأميّة والأنانية والتزلّف.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٦٧. المال قوّة لا شكّ في ذلك، ولكن من الخطأ أن يندفع المرء في تحصيله طوال عمره ليتركه إلى من لا يُحسن استغلاله، بل إنه يعمل على تبذيره، وهو لم يتعب بجمعه، فمن يحسب أن جمع المال بكثرة يوفّر عليه الإحساس بالفقر، الحقيقة أنه الفقر بعينه.

(٥) و (٦) الجَوْر: الظلم. الطِّمْرة من الأفراس: الوثابة نشاطاً وحيوية، الحيزوم: الصدر. =

وَكَمْ مِنْ جِبَالٍ جُبْتُ تَشْهَدُ أَنَّنِي الْـ
ـجِبَالُ وَبَحْرٍ شَاهِدٍ أَنَّنِي الْبَحْرُ[١]
وَخَرْقٍ مَكَانُ الْعِيسِ مِنْهُ مَكَانُنَا
مِنَ الْعِيسِ فِيهِ وَاسِطُ الْكُورِ وَالظَّهْرُ[٢]
يَخِدْنَ بِنَا فِي جَوْزِهِ وَكَأَنَّنَا
عَلَى كُرَةٍ أَوْ أَرْضُهُ مَعَنَا سَفْرُ[٣]
وَيَوْمٍ وَصَلْنَاهُ بِلَيْلٍ كَأَنَّمَا
عَلَى أُفْقِهِ مِنْ بَرْقِهِ حُلَلٌ حُمْرُ[٤]
وَلَيْلٍ وَصَلْنَاهُ بِيَوْمٍ كَأَنَّمَا
عَلَى مَتْنِهِ مِنْ دَجْنِهِ حُلَلٌ خُضْرُ[٥]

= الغمر: الحقد. يُعلن الشاعر استعداده على تجييش جيش عظيم لمحاربة الظلمة من الملوك الجائرين، قوامه شباب امتلأت صدورهم غيظاً وحُنقاً يمتطون أفراساً يمرقون بسرعة البرق بين صفوف الأعداء يمزقونها شذر مذر، وبأيديهم رماح مترعة بالغضب فتخترق أجساد الأعداء، إنها كؤوس من نوع مرعب، مخيف قد اصطبغ ما فيه بلون الموت، لا تشتهيه الأنفس، وهو خلاف الخمرة التي تهفو لها النفوس وقت اللهو والمرح.

(١) جبت: سلكت. الجبل رمز الصمود والاستمرار والوقار. لقد قطع الشاعر كثيراً من الجبال التي تشهد له بجلده وقوته على تخطّي المصاعب، والبحر يتمثّل فيه القوّة والغنى والمهابة والجلال، والبحر بدوره يشهد بأن الشاعر بحر تتمثل فيه كلّ سمات البحر من كرم وقوة وثورة وتدمير.

(٢) و (٣) الخرق: المفازة الواسعة بين جبلين. العيس: النياق البيض. واسط الكور: مقدم رحل الناقة. يُصوّر الشاعر الركب وهم وسط مفازة امتدّت أطرافها واتّسعت جنباتها، والإبل تنطلق مسرعة، ومع ذلك فإنها تبدو مسمّرة في مكانها والشاعر وصحبه على متونها كأنهم رُبطوا إلى رحالها وكأنهم يمتطون كرة تسير بسيرهم وتُسافر بسفرهم، لذا فهم لا يزالون في وسط تلك المتاهة.

(٤) إنها رحلة طويلة بعيدة المدى ممّا جعل القوم يصلون ليلهم بنهارهم وهم مجدّون السير، ولا يزال ممسكاً بالظلمة، فلا هو يتخلّى عنها ولا الفجر يلوح في الأفق.

(٥) المتن: الظهر: الدجنة. العتمة. الحلل: الأثواب. أخيراً حلّ النهار، إنه ليس بأفضل =

وَغَـيْـثٍ ظَـنَـنَّـا تَـحْـتَـهُ أَنَّ عَـامِـراً
عَـلَا لَـمْ يَـمُـتْ أَوْ فِي السَّحابِ لَـهُ قَـبْرُ[١]
أَوِ ٱبْـنَ ابْـنِـهِ الْـبَـاقِـي عَـلِـيَّ بْـنَ أَحْـمَـدٍ
يَـجُـودُ بِـهِ لَـوْ لَـمْ أَجُـزْ وَيَـدِي صِـفْـرُ[٢]
وَإِنَّ سَـحَـابـاً جَـوْدَهُ مِـثْـلُ جُـودِهِ
سَـحَـابٌ عَـلَـى كـلِّ السَّـحَـابِ لَـهُ فَـخْـرُ[٣]
فَـتًـى لَا يَـضُـمُّ الْـقَـلْـبُ هِـمَّـاتِ قَـلْـبِـهِ
وَلَـوْ ضَـمَّـهَـا قَـلْـبٌ لَـمَـا ضَـمَّـهُ صَـدْرُ[٤]
وَلَا يَـنْـفَـعُ الإمـكَـانُ لَـوْلَا سَـخَـاؤُهُ
وَهَـلْ نَـافِـعٌ لَـوْلَا الأُكُـفُّ الْـقَـنَـا الـسُّـمْـرُ[٥]

= من الليل، فقد ظلّلت سماءه سحابة سوداء فيُوحي ذلك بحزن عميق تعاني منه الطبيعة.

(١) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٥٣. الغيث: المطر. يتخلّص الشاعر إلى مدح ممدوحه بادئاً بجدّه عامر، المطر ينهمر بغزارة لذا راودته فكرة مفادها أن جدّ الشاعر المتوفى قد ارتفع إلى السماء ولم يمت، وها هو ذا يُمطر سحاباً يدلّ على كرمه، ممَّا يُوحي بأنه لا يزال حيًّا.

(٢) و (٣) ويُردف الشاعر كلامه أنه يظنّ أن الغيث مبعثه حفيد عامر وهو علي بن أحمد، وحالما عبر مجال السحب ولا تزال يده فارغة تأكّد له أنه المطر حقيقة وهو الجَوْد، بفتح الجيم، ذلك أن من عادة ممدوحه أن يُجزل العطاء لمادحيه. ولهذا فكرم الممدوح يزيد فضلاً وفخراً على كلّ فخر.

(٤) يمدح الشاعر ممدوحه بأنه فتًى، والفتوّة العربية تعني كمال الرجولة شجاعة وأصالة رأي وكرماً وفداءً وحلماً وعلماً، وقلب الممدوح ليس كسائر القلوب، إنه يضطلع بأمور عظام لا تستوعبها سائر القلوب، وذلك لعدم قدرتها على استيعاب مدلولاتها والعمل بما تستوجب تلك المدلولات.

(٥) يقصد الشاعر بالإمكان الغنى واليسار. القنا: الرماح. يقول الشاعر لا قيمة للغنى إذا لم يُتبعه الكرم والجود، فالبخل مرض يُجمّد الحياة ويُفقد الغنى معناه الماديّ والمعنوي تماماً كالرماح فإنها لا تقتل إلّا بأيدٍ قويّة، ولهذا صُنعت وإلّا فلا قيمة لها إن لم تستعمل.

قِـرَانٌ تَـلَاقَـى الـصَّـلْـتُ فِـيـهِ وَعَـامِـرٌ
كَـمَـا يَـتَـلَاقَـى الْـهِـنْـدُوَانِـيُّ وَالـنَّـصْـرُ[١]
فَـجَـاءا بِـهِ صَـلْـتَ ٱلْـجَـبِـيـنِ مُـعَـظَّـمـاً
تَـرَى الـنَّـاسَ قُـلّاً حَـوْلَـهُ وَهُـمُ كُـثْـرُ[٢]
مُـفـدًّى بِـآبَـاءِ الـرِّجَـالِ سَـمَـيْـذَعـاً
هُـوَ الْـكَـرَمُ الـمَـدُّ الّـذِي مَـا لَـهُ جَـزْرُ[٣]
وَمَـا زِلْـتُ حَـتَّـى قـادَنِـي الـشَّـوْقُ نَـحْـوَهُ
يُـسَـايِـرُنِـي فـي كُـلِّ رَكْـبٍ لَـهُ ذِكْـرُ[٤]
وَأَسْـتَـكْـبِـرُ الأَخْـبَـارَ قَـبْـلَ لِـقَـائِـهِ
فَـلَـمَّـا الْـتَـقَـيْـنَـا صَـغَّـرَ الْـخَـبَـرَ الْـخُـبْـرُ[٥]

---

(١) و (٢) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٣. القران: تلاقي كوكبين واجتماعهما. الصلت جدّ الممدوح لأمه، وعامر جدّه لأبيه. عامل الوراثة في البشر لا يُنكر، فقد التقى في دماء وأخلاق الممدوح جدّان له من قبل أبيه وأمه، فكان قِران كوكبين ماجدين تماماً كقران النصر المبين بالسيف الهندي البتّار، لذا فقد كان الممدوح نتاج لقاء وتزاوج عنصرين عظيمين، إنه جميل الطلعة وضّاح الجبين، فإذا ما توسّط الجموع بدا دُرّة، رغم كثرة جموعهم، مشعّة عليهم جميعاً فبدوا قليلين مقابل كثرته رغم أنه واحد.

(٣) السميذع: السيد النبيل. المدّ: زيادة الماء. الجزر: نقصان الماء. ومن مزايا الممدوح أن رعيّته تفديه بآبائهم، لأنه ماجد الآباء كريم النسب. كريم يفيض عطاؤه بلا حدود ذو مدّ لجب لا جزر له.

(٤) و (٥) ورد البيتان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٣. يُساير: يُرافق في المسير والحديث. يصف الشاعر حاله مع ممدوحه، لقد رحل إليه، وطوال الرحلة تتناثر الأخبار حول ممدوحه حتى تمنّى المثول بين يديه، فالكلّ يُطنب بمدحه والإشادة بذكره والشاعر لا تصدّق أذناه ما يسمع حتى كان اللقاء فإذا به يستصغر ما سمعه لقاء ما رآه من ممدوحه.

إِلَـيْـكَ طَـعَـنَّـا فـي مَـدَى كـلِّ صَـفْـصَـفٍ
بِـكُـلِّ وَآةٍ كُـلُّ مَـا لَـقِـيَـتْ نَـحْـرُ[١]
إِذَا وَرِمَـتْ مِـنْ لَـسْـعَـةٍ مَـرِحَـتْ لَـهَـا
كَـأَنَّ نَـوَالاً صَـرَّ فِـي جِـلْـدِهَـا الـنِّـبْـرُ[٢]
فَـجِـئْـنَـاكَ دُونَ الـشَّـمْـسِ وَالْـبَـدْرِ فـي الـنَّـوَى
وَدُونَـكَ فـي أَحْـوَالِـكَ الـشَّـمْـسُ وَالْـبَـدْرُ[٣]
كَـأَنَّـكَ بَـرْدُ الـمَـاءِ لَا عَـيْـشَ دُونَـهُ
وَلَـوْ كُـنْـتَ بَـرْدَ الـمَـاءِ لَـمْ يَـكُـنِ الْـعِـشْـرُ[٤]
دَعَـانِـي إِلَـيْـكَ الْـعِـلْـمُ وَالْـحِـلْـمُ وَالْـحِـجَـى
وَهٰـذَا الْـكَـلَامُ الـنَّـظْـمُ وَالـنَّـائِـلُ الـنَّـثْـرُ[٥]

---

(١) و (٢) يصف الشاعر مسيره إلى الممدوح ها هو ذا يمتطي وآة ناقة قويَّة على السير، وقد جدّ السير وتوغّل في فلاة مستوية الأطراف، وناقته لا تبالي بما تواجهه من أخطار تتلقّاها بنحرها بعناد رغم مشاق الطريق ووعورتها، فثمّة نبر لسعها ممّا جعل اللسعة ترم، فإذا بها يشتدّ سيرها ويبدو مكان اللسعة كأنه صرة دنانير مكافأة لها على ذلك.

(٣) النوى: البعد. يُخاطب الشاعر ممدوحه، لقد وصل أخيراً ومثل بين يديه، وهو أقرب إلى الشاعر من الشمس والقمر، وهما أقلّ منه كرماً، فكرمه أشمل نفعاً وأقرب منالاً لبعدهما، ونفعهما محدود بالنسبة للشاعر.

(٤) الماء سرّ الحياة، فلا يستغني عنه كائن حيّ، لذلك يُشبه الشاعر ممدوحه بالماء البارد في يوم حارّ، فتكون قيمته أكثر فائدة، ولهذا فلو كان كذلك عطّشت النياق أياماً عشرة، وللازمت الممدوح تنعم برفده وكرمه.

(٥) الحجى: العقل. ويخاطب الشاعر ممدوحه بأنه قصد المثول بين يديه بمزاياه، قوامها علم نافع وحلم واسع قادر وعقل راجح يزن الأمور بميزان المنطق وكذلك ما نظمه الشاعر في التغني بمزايا الممدوح إضافة إلى كرمه الفياض الذي يُغدقه على مادحيه وقاصدي كرمه.

وَمَـا قُـلْـتُ مِـنْ شِـعْـرٍ تَـكَـادُ بُـيُـوتُـهُ
إِذَا كُـتِـبَـتْ يَـبْـيَـضُّ مِـنْ نُـورِهَـا الْـحِـبْـرُ[١]
كَـأَنَّ الـمَـعَـانِـي فِـي فَـصَـاحَـةِ لَـفْـظِـهَـا
نُـجُـومُ الـثـرَيَّـا أَوْ خَـلَائِـقُـكَ الـزُّهْـرُ[٢]
وَجَـنَّـبَـنِـي قُـرْبَ الـسَّـلَاطِـيـنِ مَـقْـتُـهَـا
وَمَـا يَـقْـتَـضِـينِي مِـنْ جَـمَـاجِـمِـهَـا النَّـسْـرُ[٣]
وإِنِّـي رَأَيْـتُ الـضُّـرَّ أَحْـسَـنَ مَـنْـظَـراً
وَأَهْـوَنَ مِـنْ مَـرْأَى صَـغِـيـرٍ بِـهِ كِـبْـرُ[٤]
لِـسَـانِـي وَعَـيْـنِـي وَالْـفُـؤَادُ وَهِـمَّـتِـي
أَوُدُّ الـلَّـوَاتِـي ذَا اسْـمُـهَـا مِـنْـكَ والـشَّـطْـرُ[٥]

---

(١) و (٢) يزاوج الشاعر بين فخره بشعره وبين طيب أخلاق الممدوح. يمدح الشاعر شعره بأنه حسن الديباجة ذات معانٍ لإشراقها يتحوّل فيها الحبر إلى ضياء يشعّ نوراً، لفصاحتها ووضوح معانيها، فتبدو نجوماً متلألئة في عالم الشعر، وقد استلهمت معانيها من أخلاق الممدوح الزاهرة المشرقة ضياءً وشهرة كشهرته بين أبناء بلده وعصره.

(٣) المقت: الاشمئزاز والكراهية. يقتضيني: يُطالبني. ومن رعونة الشاعر أنه يُجاهر بكراهيته ومقته للسلاطين والملوك؛ فهو يودّ لو يتخلّص منهم بالقضاء عليهم وقتلهم، وثمّة علاقة ودّ بين النسور القمامة والشاعر أنه يقدّم لها أجساد أولئك السلاطين طعاماً، وهو يفيها حاجتها من جماجمهم. والغريب أنه يُخاطب أحد السلاطين!!

(٤) ينوّه الشاعر بأنفته وعدم استجداء صغار النفوس من السلاطين المتكبّرين، مفضّلاً سوء حاله وفقره على الدنوّ منهم ومدحهم.

(٥) ورد البيتان التاليان في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ٨٦. يُعدّد الشاعر جوارحه، فلسانه يتمثل حسن المنطق وقول الشعر في محاسن الممدوح، ونظره التمتّع بمحاسن الممدوح والتلذّذ بقربه، وفؤاده مكمن مشاعره وحبه تُجيّره لرضى الممدوح، وهمّتُه قدرته على مواجهة الأخطار والحروب إلى جانب الممدوح، والشاعر يتمنّى على ممدوحه أن يُبادله ويُشاطره أحاسيسه وودّه مخلصاً له كما أن الشاعر يُشاركه أحاسيس جوارحه.

وَمَـا أَنَـا وَحْـدِي قُـلْـتُ ذَا الـشِّـعْـرَ كُـلَّـهُ
وَلَـكِـنْ لِـشِـعْـرِي فِـيـكَ مِـنْ نَـفْـسِـهِ شِـعْـرُ[١]
وَمَـاذا الَّـذِي فِـيـهِ مِـنَ الْـحُـسْـنِ رَوْنَـقـاً
وَلَـكِـنْ بَـدَا فـي وَجْـهِـهِ نَـحْـوَكَ الْـبِـشْـرُ[٢]
وَإِنِّـي وَإِنْ نِـلْـتَ الـسَّـمَـاءَ لَـعَـالِـمٌ
بِـأَنَّـكَ مَـا نِـلْـتَ الَّـذِي يُـوجِـبُ الْـقَـدْرُ[٣]
أَزَالَـتْ بِـكَ الأَيَّـامُ عَـتْـبِـي كَـأَنَّـمَـا
بَـنُـوهَـا لَـهَـا ذَنْـبٌ وَأَنْـتَ لَـهـا عُـذْرُ[٤]

دهري في ذراه دهور

يمدح أبا محمد الحسين بن عبد اللّه بن طغج: [الطويل]

وَوَقْـتٍ وَفَـى بِـالـدَّهْـرِ لِـي عِـنْـدَ سَـيِّـدٍ
وَفَـى لِـي بِـأَهْـلِـيـهِ وَزَادَ كَـثِـيـرا[٥]
شَـرِبْـتُ عَـلَـى اسْـتِـحْـسَـانِ ضَـوْءِ جَـبِـيـنِـهِ
وَزَهْـرٍ تَـرَى لِـلْـمَـاءِ فِـيـهِ خَـرِيـرَا[٦]

---

(١) ورد البيت في: شرح شواهد الشافية، للبغدادي: ١١٩. يُقرّ الشاعر أن ما قاله في مدح ممدوحه مبعثه الشعر الذي سال به قلمه دون إعمال فكر، فتواردت الأفكار تباعاً وانسالت راغبة في التغنّي بمحاسن الممدوح ومدحه.

(٢) رونق كل شيء: نضرته وجماله. البشر: التفاؤل لدى لقاء وجه جميل. يمدح الشاعر شعره وما فيه من جمال العبارة وفصاحتها، فضلاً عن معانيه المستفادة من جمال طلعة الممدوح التي تُوحي بالتفاؤل والبشر، وكل ذلك انعكس إيجاباً فيه فبدا يُجسّد صفات الممدوح.

(٣) يُخاطب الشاعر ممدوحه مستقِلّاً ما حقّقه من نجاح وعلوّ مكانة لهو دون ما يستحقّه من مجد لبعد همّته وعظم شأنه رغم أنه أدرك أسمى مراقي المجد.

(٤) ورد البيت في: الوساطة بين المتنبي وخصومه: ١٣٣، ودلائل الإعجاز، للجرجاني: ٣٤٩. العتب: اللوم. يُنهي الشاعر قصيدته مُنوّها بأن الأيّام أصلحت علاقتها معه بعدما أفسد البشر علاقته بها، فإذا بها تُتيح له لقاء الممدوح الذي أنساه ما آساه من ظلم أهل دهره فكأن الذنب قد انمحى بلقاء الممدوح الذي أحسن إليه ممّا أنساه سيئات معاصريه.

(٥) و (٦) يروى «عند واحد» بدلاً من «عند سيد». ينوّه الشاعر بفضل ممدوحه، فقد أزال =